قيم التواقيع

للافرنج ولع شديد باثار علمائهم ونفائسهم يتصل ذلك من مدنهم الى مساكنهم الى مؤلفاتهم الى اقلامهم الى خطوط ايديهم وتواقيعهم الى حليهم وسائر ما يتعلق بهم . اما مدنهم فيشرفون بالانتماء اليها حتى يحتال على ذلك من لم يكن منها كما يفعل البعض بانتمائهم الى الاسرة النبوية الكريمة بدون حق واما مساكنهم فتحفظ على قدمها كانفس الآثار التاريخية ويحج اليها الناس من كل فج فتكون موردرزق كبير لاهل المدينة كما ذكرنا ذلك مرة

واما مؤلفاتهم فتحتكر للطبع وقد تكون اعظم ارث تركه المؤلف لاعقابه واما اقلامهم ومكتوبات ايديهم وحليهم وازرار قمصانهم وملابسهم وقبعاتهم وكل ما له علاقة بهم فيحتفظ به كانفس الآثار ويتغالى الاكابر في ثمنه كلما تقادم عهده وبالتالي كلما نما العلم وزادت الرغبة في تحصيله ومجازاة البارعين فيه

اما خطوط الايدي فيظهر انها انفس ما يقتنى ويجتهد لتحصيله والظفر به لانه اشد علاقة بعلم العالم من سواه كما انه يقال ان من الخط دلالة على الاخلاق والصفات فغير بعيد ان يكون ايثارهم لها قبل سواها لمعرفة تلك الصفات

اما اغلى النفائس الخطية فهي خطوط شكسبير الشاعر عند الانكليز بالخصوص لان هذا الرجل يوشك ان يكون عندهم بمقام الآلهة وهو كلما تقادم عهده او كلما زادت الرغبة في الشعر زادت تلك الخطوط قيمة في نظر

المعجبين حتى تغدو واقل منها قيمة السفتجة والصك او نقد من نقود الورق كما سيمر بك من العلم بذلك

فلقد خبروا عن متروكات هذا الشاعر الخطية انه يوجد منها في المتحف البريطاني توقيع لشكسبير اشتراه عام ١٨٥٨ بمبلغ ثلاثمئة جنيه فزاده القدم نفاسة من ذاك التاريخ الى الان حتى يقال انه لو دفع فيه ثلاثون الف جنيه لما بيع ولا طابت عنه نفس الحكومة ولو كانت في اشد الضيق وله غير هذا توقيع في مكتبة بمدينة اكسفرد اشترته عام ١٨٠٥ بتسعة جنيهات وتوقيع آخر بمكتبة جيلدهال اشترت بمبلغ ١٤٧ جنيهاً ولكنهما يوشكان الان ان يكونا بلا ثمن لعظم قيمتهما ولان المكتبتين لا تبيعهما قط لفرط الضنانة بهما ولكنهما لو كانا لدى الافراد لتناقلتهما الايدي وسامهما المعجبون بالثمن العزيز الغالي

اما ملتون الشاعر العظيم فلم تكن له تواقيع لانه كان اعمى كشاعرنا ابي العلاء المعري ولكنه كانت له اشارة يرسمها فتدل على انها توقيعه وهذه الاشارات نادرة الان ولذلك تباع باغلى الاثمان

ولقد ذكروا عن كثرين من الشعراء والكتاب واصحاب البدع وسواهم شيئاً كثيراً من غلاء تواقيعهم ولكن الذي يظهر ان قيمة تواقيعهم لا تكون على مقدار قيمة نفوسهم بل على مقدار تلك التواقيع وكميتها بحيث انه لو لم يكن لاقل من شكسبير الا توقيع واحد لكان ثمنه عشرات الالوف ولو كانت لشكسبير نفسه تواقيع كثيرة لكانت رخيصة

ثم ان هذه التواقيع قد صارت الان شبه تجارة في اوربا لكثرة احتيال اهلها على النفائس والمباهاة بها بحيث لم يعد يشترط فيها ان تكون للاكابر

الماضين بل هي صارت تقتنى من الحاضرين والذين مضى على موتهم دهر قصير . فان لتواقيع الملك ادوارد الحالي ثمناً معيناً كاثمان السلع المعروفة القيمة وهو جنيهان وشلنان وتوقيع القيصر الروسي يباع بجنيهين و١٥ شلناً وملك ايطاليا بجنيه و١٥ شلناً ومثله امبراطور اوستريا . وقد بيع من مدة توقيع المرحوم الملك اسكندر ملك السرب بمبلغ ٥ جنيهات وتوقيع امرأته دراغا بثلاثة ولكنه قد ظفر من مدة بتوقيع للشاعر موليير الفرنسوي الشهير فبيع بمبلغ ٧٨٠ جنيهاً ويقال انه لا يوجد من تواقيعه الا ستة فقط

وعلى الجملة فان لهذه التواقيع بين قديمة وجديدة شأناً مهماً لدى الاوربيين حتى لتعتبر بمقام نقود الورق ولولا ان تكون كثرتها سبباً لرخصها لامكن الملوك والشعراء والعلماء الحاضرين ان يبيعوا تواقيعهم بيعاً فيكون لهم منها مورد رزق ليس بقليل الا انه لو كان مورداً كبيراً فانهم لا يبيعونها قط بل قد يهبونها لمن يلتمس التشرف باحرازها او بيعها اذا كان فقيراً ولهذا يراسل كثيرون الملوك ارادة ان يظفروا بتواقيعهم ولكنهم قلّ ان ينالوها الا اذا كانت المراسلة مهمة والا وقع دون الملك وكيله

وانه من لطيف ما رووه عن هذا الشأن ان احد حفدة الملكة فيكتوريا ملكة انكلترا التمس منها مرة شيئاً من النقود فلم تعطه فكتب اليها يلتمس ذلك المبلغ ثانية فاجابته بخطها وتوقيعها ترفض طلبه ولقد كان الغلام حاذقاً لبيباً فعلم ان لكتابها قيمة فباعها باكثر جداً مما كان يسأل وهي لا تدري بان كتابها كان مالا

ولقد يظهر ان الذين يشترون تواقيع العلماء الماضين ويتنافسون بها حتى يبلغ ثمنها المئات والالوف انما يفعلون ذلك قصد اكرام العلم واجلال العلماء

فقط ولكن الحقيقة ليست كل ذلك بل هم يتنافسون هذه المنافسة للدلالة على نفوسهم ايضاً بانهم ارباب علم اكيد بقيم اولئك العلماء وانهم يفهمون كلامهم وقد علموا مقدار الحذق والصنعة في الذي كتبوا ولذلك يجلون آثارهم بما يكون منه تجلة لذواتهم كالكريم الذي يعطي الفقير فانه لا يعطيه قصد تخفيف ضيمه فقط بل قصد شفاء نفسه من التأثر الذي اصابه من كربة الفقير وعوزه فكأنه بذلك احسن احسانين

اما في بلادنا فان خلق هذا الكرم موجود لانه طبيعي في كل نفس الا بعض من لا وجدان في نفوسهم ولا شعور في صدورهم بل هم يعطون الفقير ليقال انهم اعطوا واذا تيقنوا انه لا يقال هذا عنهم فانهم لا يفرجون عن مضيم كربة ولو رأوا ارواحهم تبلغ التراقي وهم ناظرون . واما الشعور الاول وهو الدلالة على العرفان بمقادير الرجال وتباهي مشترى النفائس بتلك المعرفة فما لا اثر له قط في نفس حتى انك لو عرضت عليهم تواقيع يوسف الصديق حتى سيدنا عيسى لما اشتروها باكثر من ثمن يوسف او ثمن عيسى وانه بهذا تتفاضل قيم الشعوب وتتميز مقادير الامم